يكون مضافًا إلى الفاعل وهو الله عز وعلا، ولم يجر له ذكر لكونه معلومًا.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾.

﴿إن هذه﴾ الآيات الناطقة بالوعيد الشديد ﴿تذكرة﴾ موعظةً ﴿فمن شاء﴾ اتعظ بها. واتخذ سبيلاً إلى الله بالتقوى والخشية. ومعنى اتخاذ السبيل إليه التقرّب والتوسل بالطاعة.

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾.

﴿أدنى من ثلثي الليل﴾ أقل منهما وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك. وقرئ: ونصفه، وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث، وهو مطابق لما مرّ في أوّل السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث، وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين وقرئ: ونصفه وثلثه بالجرّ. أي: تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف، والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين، وقرئ: ونصفه وثلثه بالجرّ. أي: تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف، والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين، والثلث وهو أدنى من النصف، والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الأخير. ﴿وطائفة من الذين معك﴾ ويقوم ذلك جماعة من أصحابك، ﴿والله يقدّر الليل والنهار﴾ ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده، وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيًا عليه يقدّر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير. والمعنى: أنكم لا تقدرون عليه الضمير في ﴿لن تحصوه﴾ لمصدر يقدّر. أي: علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم ﴿فتاب عليكم﴾ عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدّر كقوله: ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم. فالآن باشروهنّ﴾[1] والمعنى: أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب. وعبر عن الصلاة بالقراءة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود، يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأوّل ثم نسخًا جميعًا بالصلوات الخمس. وقيل: هي قراءة القرآن بعينها. قيل: يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن. وقيل: من قرأ مائة آية كتب من القانتين. وقيل: خمسين آية، وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله. وقيل: سوّى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيئًا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرًا محتسبًا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء[2]، وعن عبد الله بن عمر: ما خلق الله موتةً أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت بين شعبتي رجل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله[3] و﴿علم﴾ استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ، ﴿وأقيموا الصلوٰة﴾ يعني: المفروضة والزكاة الواجبة، وقيل: زكاة الفطر لأنه لم يكن بمكة زكاة وإنما وجبت بعد ذلك، ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيًا. ﴿وأقرضوا الله قرضًا حسنًا﴾ يجوز أن يريد سائر الصدقات وأن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف إلى المستحق وأن يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال. ﴿خيرًا﴾ ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأنّ أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة. وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرًا بالرفع على الابتداء، والخبر عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المزمّل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة»[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المدثر مكية

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾.

﴿المدّثر﴾ لابس الدثار وهو ما فوق الشعار، وهو الثوب الذي يلي الجسد. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «الأنصار شعار والناس دثار»[5]. وقيل: هي أوّل سورة نزلت. وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: «كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئًا فنظرت فوقي فرأيت

(1) سورة البقرة، الآية: 187.

(2) قال الزيلعي: رواه الثعلبي في تفسيره، وابن مردويه: 4/112.

(3) رواه البيهقي في الشعب، قاله الزيلعي: 4/113.

(4) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم 4/113.

(5) تقدم في آل عمران.

شيئًا»[1]. وفي رواية عائشة: فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض. يعني: الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: «دثروني دثروني. فنزل جبريل وقال: يا أيها المدّثر[2]. وعن الزهري: أوّل ما نزل سورة: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾[3] فحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال: إنك نبي الله. فرجع إلى خديجة وقال: «دثروني وصبوا علي ماءً باردًا، فنزل يا أيها المدثر. وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرًا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه. وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال: دثرت هذا الأمر وعصب بك.

قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾.

كما قال في المزمّل: قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم. ﴿فأنذر﴾ فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، والصحيح أنّ المعنى فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد.

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾.

﴿وربك فكبر﴾ واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال: الله أكبر. ويروى أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر». فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي، وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط، كأنه قيل: وما كان فلا تدع تكبيرة.

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾.

﴿وثيابك فطهر﴾ أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لأنّ طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى والأحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثًا. وقيل: هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول ونلك ما لا يؤمن معه إصابة النجاسات. وقيل: هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من العادات. يقال: فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والأردان، إذا وصفوه بالتقاء من المعايب ومدانس الأخلاق. وفلان دنس الثياب للغادر ونلك لأنّ الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه فكني به عنه. ألا ترى إلى قولهم: أعجبني زيد ثوبه، كما يقولون: أعجبني زيد عقله وخلقه، ويقولون: المجد في ثوبه والكرم تحت حلته. ولأنّ الغالب أنّ من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهر في كل شيء.

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾.

﴿والرجز﴾ قرئ بالكسر والضم وهو العذاب. ومعناه: اهجر ما يؤدّي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم، والمعنى: الثبات على هجره لأنه كان بريئًا منه.

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾.

قرأ الحسن: ولا تمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال. أي: ولا تعط مستكثرًا رائيًا لما تعطيه كثيرًا أو طالبًا للكثير، نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيئًا وهو يطمع أن يتعوّض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث «المستغزر يثاب من هبته»، وفيه وجهان: أحدهما أن يكون نهيًا خاصًا برسول الله ﷺ لأنّ الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق، والثاني أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمّته، وقرأ الحسن: تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الإبدال من تمنن. كأنه قيل: ولا تمنن، لا تستكثر على أنه من المن في قوله عز وجل: ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًا ولا أذىً﴾[4] لأنّ من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره أي: يراه كثيرًا ويعتدّ به، وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفًا وأن يعتبر حال الوقف. وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى

وتؤيده قراءة ابن مسعود: ولا تمنن أن تستكثر. ويجوز في الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها. كما روى: احضر الوغى بالرفع.

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾.

﴿ولربك فاصبر﴾ ولوجه الله فاستعمل الصبر. وقيل: على أذى المشركين، وقيل: على أداء الفرائض. وعن النخعي: على عطيتك، كأنه وصله بما قبله وجعله صبرًا على العطاء من غير استكثار. والوجه أن يكون أمراً بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه، ويراد الصبر على أذى الكفار لأنه أحد ما يتناوله العام. والفاء في قوله:

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾.

والفاء في قوله ﴿فإذا نقر﴾ للتسبيب كأنه قال: اصبر على اذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه.

والفاء في ﴿فذلك﴾ للجزاء.

فإن قُلْتَ: بم انتصب إذا؟ وكيف صح أن يقع ﴿يومئذ﴾ ظرفًا ليوم عسير؟ **قُلْتُ:** انتصب إذا بما دلّ عليه الجزاء لأنّ

---

(1) رواه البخاري في كتاب: بدء الوحي باب: 3 (الحديث رقم: 4)، ومسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (الحديث رقم: 257 ـ 161).

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿اقرأ باسم ربك الذي= = خلق﴾ (الحديث: 4953)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (الحديث: 401).

(3) سورة العلق، الآيات: 1 ـ 5.

(4) سورة البقرة، الآية: 262.

المعنى: فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين، والذي أجاز وقوع يومئذٍ ظرفًا ليوم عسير أنّ المعنى: فذلك وقت النقر، وقوع يوم عسير لأنّ يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور. واختلف في أنها النفخة الأولى أم الثانية، ويجوز أن يكون يومئذٍ مبنيًا مرفوع المحل بدلاً من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير.

عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾.

فإن قُلْتَ: فما فائدة قوله: **﴿غير يسير﴾** وعسير مغن عنه! **قُلْتُ:** لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم. قال: غير يسير، ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرًا هينًا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم. ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرًا كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا.

ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾.

﴿وحيدًا﴾ حال من الله عز وجل على معنيين: أحدهما ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم، والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، أو حال من المخلوق على معنى: خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد. كقوله: **﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة﴾**[1] وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد، ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية، فإن كان ملقبًا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدّمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب، وهو أنه خلق وحيدًا لا مال له ولا ولد، فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه.

وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾.

﴿ممدودًا﴾ مبسوطًا كثيرًا أو ممدًّا بالنماء، من مدّ النهر ومدّه نهرًا آخر. قيل: كان له الزرع والضرع والتجارة. وعن ابن عباس: هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال، وقيل: كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفًا وشتاءً، وقيل: كان له ألف مثقال، وقيل: أربعة آلاف، وقيل: تسعة آلاف، وقيل: ألف ألف، وعن ابن جريج: غلة شهر بشهر.

وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾.

﴿وبنين شهودًا﴾ حضورًا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم، فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم. ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل، أو تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه. وعن مجاهد: كان له عشرة بنين، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: سبعة كلهم رجال: الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام وعمارة.

وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾.

﴿ومهدت له تمهيدًا﴾ وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي المال والجاه، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا، ومنه قول الناس: أدام الله تأييدك وتمهيدك، يريدون زيادة الجاه والحشمة، وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش.

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾.

﴿ثم يطمع﴾ استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه[2]. يعني: أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة. وقيل: إنه كان يقول إن كان محمد صادقًا فما خلقت الجنة إلا لي.

كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾.

﴿كلا﴾ ردع له وقطع لرجائه وطمعه **﴿إنه كان لآياتنا عنيدًا﴾** تعليل للردع على وجه الاستئناف. كأن قائلاً قال: لم لا يزاد؟ فقيل: إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد. ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك.

سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾.

﴿سأرهقه صعودًا﴾ سأغشيه عقبة شاقة، المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق. وعن النبي ﷺ: «يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت»[3]، وعنه عليه السلام: «الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفًا ثم يهوي فيه كذلك أبدًا»[4].

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾.

﴿إنه فكر﴾ تعليل للوعيد، كأنّ الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده، ويعاقبه في

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 94.

(2) قال أحمد: لأنّ الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد إمعانه النظر لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث. قال: فإن قلت: لمَ لم يوسط بين الجملتين عاطفاً؟ وأجاب: بأن الثانية أخرجها مخرج التوكيد للأولى.

(3) رواه البزار والبيهقي في البعث والنشور، والطبري والثعلبي [الزيلعي 4/120].

(4) رواه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر (الحديث رقم: 33260)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (الحديث رقم: 4299).

الآخرة بأشدّ العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرًا. ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعةً بقوله: سأرهقه صعودًا ردًا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له وأخبارًا بأنه من أشدّ أهل النار عذابًا ويعلل ذلك بعناده، ويكون قوله: إنه فكر بدلاً من قوله: إنه كان لآياتنا عنيدًا بيانًا لكنه عناده. ومعناه: فكر ماذا يقول في القرآن ﴿وقدّر﴾ في نفسه ما يقوله وهيأه.

قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾.

﴿فقتل كيف قدّر﴾ تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحن ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش، أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به، أو هي حكاية لما كرّروه من قولهم: قتل كيف قدّر تهكمًا بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله: ومعنى قول القائل: قتله الله ما أشجعه، وأخزاه الله ما شعره الأشعار، بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده. بذلك روي أنّ الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ، إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى، فقالت قريش: صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزينًا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون فهل رأيتموه يخنق، وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن، وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرًا قط، وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيء من الكذب، فقالوا: في كل ذلك اللهم لا. ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يأثره، عن مسيلمة وعن أهل بابل: فارتج النادي فرحًا وتفرّقوا معجبين بقوله: متعجبين منه.

ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾.

﴿ثم نظر﴾ في وجوه الناس.

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾.

ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرًا وتشاوس مستكبرًا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهمّ بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاءً به. وقيل: قدّر ما يقوله، ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول. وقيل: قطب في وجه رسول الله ﷺ.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾.

﴿ثم أدبر﴾ عن الحق ﴿واستكبر﴾ عنه فقال ما قال، وثم نظر عطف على فكر وقدّر والدعاء اعتراض بينهما.

فإن قُلْتَ: ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء؟ **قُلْتُ:** الدلالة على أن الكرّة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله: ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي.

فإن قُلْتَ: ما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها؟ **قُلْتُ:** الدلالة على أنه قد تأنى في التأمّل وتمهل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد.

فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾.

فإن قُلْتَ: فلم قيل: ﴿فقال إن هذا﴾ بالفاء بعد عطف ما قبله بثم؟ **قُلْتُ:** لأنّ الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث.

فإن قُلْتَ: فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين؟ **قُلْتُ:** لأنّ الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾.

﴿ساصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعودًا.

لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾.

﴿لا تبقي﴾ شيئًا يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذره هالكًا حتى يعاد، أو لا تبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة.

لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾.

﴿لواحة﴾ من لوح الهجير قال:

تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لا حنى الهواجر

قيل: تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادًا من الليل. والبشر أعالي الجلود. وعن الحسن: تلوح للناس، كقوله: ﴿ثم لترونّها عين اليقين﴾[1]. وقرئ: لواحة نصبًا على الاختصاص للتهويل.

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾.

﴿عليها تسعة عشر﴾ أي: يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكًا. وقيل: صنفًا من الملائكة. وقيل: صفًا. وقيل: نقيبًا. وقرئ: تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات في ما هو في حكم اسم واحد. وقرئ: تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن. جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد الخلق بأسًا وأقواهم بطشًا. عن عمرو بن دينار: واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. وعن النبي ﷺ: «كأن أعينهم البرق، وكأن أفواههم الصياصي. يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوّة

(1) سورة التكاثر، الآية: 7.

التقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم. وروي أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أنّ خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله:

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾.

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون.

فإن قُلْتَ: قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببًا[1] لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك! **قُلْتُ:** ما جعل افتتانهم بالعدّة سببًا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببًا وذلك أنّ المراد بقوله: **﴿وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾** وما جعلنا عدّتهم إلا تسعة عشر، فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأنّ حال هذه العدّة الناقصة واحدًا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة. كأنه قيل: ولقد جعلنا عدّتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأنّ عدتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيمانًا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل وله ا رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك.

فإن قُلْتَ: لم قال: **﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾** والاستيقان وازدياد الإيمان دالاً على انتفاء الارتياب[2]؟ **قُلْتُ:** لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر، ولأنّ فيه تعريضًا بحال من عداهم. كأنه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر.

فإن قُلْتَ: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة؟ **قُلْتُ:** معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة **﴿والكافرون﴾** بمكة **﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾** وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب، وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب.

فإن قُلْتَ: قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا، فهب أنّ الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضًا! **قُلْتُ:** أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضًا. ألا ترى إلى قولك: خرجت من البلد لمخافة الشر، فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك، مثلاً تمييز لهذا أو حال منه كقوله: **﴿هذه ناقة الله لكم﴾**[3] آية.

فإن قُلْتَ: لم سموه مثلاً؟ **قُلْتُ:** هو استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابًا منهم لهذا العدد واستبداعًا له، والمعنى: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص. الكاف في **﴿كذلك﴾** نصب وذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضلّ الكافرين ويهدي المؤمنون. يعني: يفعل فعلاً حسنًا مبنيًا على الحكمة والصواب، فيراه المؤمنون حكمةً ويذعنون له لاعتقادهم أنّ أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانًا، وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرًا وضلالاً. **﴿وما يعلم جنود ربك﴾** وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص، وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة **﴿إلا هو﴾** ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة. أو ما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو

---

(1) قال حمد: ما جعل افتتانهم بالعدة سبباً لذلك، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سبباً؛ لأن المراد: وما جعلنا عدّتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع ذلك؛ لأن حال هذه العدّة الناقصة واحداً من العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ولا يذعن، وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل: لقد جعلنا عدتهم عدّة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب.

(2) قال حمد: أطلق الفرض على الله عز وجل مع أنه موهم، ولم يرد =

= فيه سماع وأورد السؤال على قاعدته بعد ذلك كله في أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم، وإن قالوا على خلاف ما أراد، وقد عرفت فساد القاعدة فارح فكرك من هذا السؤال، فالكل مراد وحسبك تتمة الآية: ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ قال: وليست بتانيث رهين إلخ.

(3) سورة هود، الآية: 64.

يعلمها. وقيل: هو جواب لقول أبي جهل أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلى قوله: إلا هو اعتراض. وقوله: ﴿وما هي إلا ذكرى﴾ متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي: وما سقر وصفتها إلا تذكرة ﴿للبشر﴾، أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها.

كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾.

﴿كلا﴾ إنكار بعد أن جعلها نكرى أن تكون لهم نكرى لانهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرًا.

وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾.

و﴿دبر﴾ بمعنى: أدبر، كقبل بمعنى أقبل، ومنه صاروا كأمس الدابر، وقيل: وهو من دبر الليل النهار إذا خلفه. وقرئ: إذا أدبر.

إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾.

﴿إنها لإحدى الكبر﴾ جواب القسم أو تعليل لكلام، والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها. ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة. أي: لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر، ومعنى كونها إحداهنّ أنها من بينهنّ واحدة في العظم لا نظيرة لها، كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء.

نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾.

و﴿نذيرًا﴾ تمييز من إحدى على معنى إنها لإحدى الدواهي إنذارًا كما تقول هي إحدى النساء عفافًا، قيل: هي حال. وقيل: هو متصل بأوّل السورة، يعني: قم نذيرًا، وهو من بدع التفاسير، وفي قراءة أبيّ: نذير بالرفع خبر بعد خبر لأن أو بحذف المبتدأ.

لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾.

﴿أن يتقدّم﴾ في موضع الرفع بالابتداء ومن شاء خبر مقدّم عليه. كقولك: لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدّم أو التأخر أن يتقدّم أو يتأخر، والمراد بالتقدّم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه. وهو كقوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[1] ويجوز أن يكون لمن شاء بدلاً من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين إن شاؤوا تقدّموا ففازوا وإن شاؤا تأخروا فهلكوا.

كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾.

﴿رهينة﴾ ليست بتأنيث رهين[2] في قوله: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾[3] لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل: رهين. لأنّ فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم. كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة:

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

كأنه قال: رهن رمس، والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك.

إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾.

﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق. وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هم الملائكة.

فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾.

﴿في جنات﴾ أي: هم في جنات لا يكتنه وصفها. ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ يسأل بعضهم بعضًا عنهم[4]، أو يتساءلون غيرهم عنهم. كقولك: دعوته وتداعيناه.

فإن قُلْتَ: كيف طابق قوله: ﴿ما سلككم﴾ وهو سؤال للمجرمين قوله: ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ وهو سؤال عنهم، وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل: يتساءلون المجرمين ما سلككم! قُلْتُ: ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لأنّ المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون: قلنا لهم ما سلككم.

قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾.

﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه.

---

(1) سورة الكهف، الآية: 29.

(2) سورة الطور، الآية: 21.

(3) قال أحمد: لانه فعيل بمعنى مفعول يستوي مذكره ومؤنثه كقتيل وجديد.

(4) قال أحمد: إنما أورد السؤال ذريعة وحيلة لتحميل الآية الدلالة على أنّ فساق المسلمين تاركي الصلاة مثلاً يسلكون في النار مخلدين مع الكفار، فجعل كل واحدة من الخلال الأربع توجب ما توجب الأخرى من الخلود، والصحيح في معنى الآية أنها خاصة بالكفار،=

= ومعنى قولهم: ﴿لم نك من المصلين﴾ لم نك من أهل الصلاة، وكذلك إلى آخرها؛ لانهم يكذبون بيوم الدين، والمكذب لا يصح منه طاعة من هذه الطاعات، ولو فعلها لم تنفعه، وقدرت كالعدم، وإنما يتأسفون على ترك فعل هو نافع لهم. قال: وفي تشبيههم بالحمر تهجين لهم وشهادة عليهم بالبلادة، وأيضاً المقصود تشبيه إبدارهم عن الحق وتسارعهم إلى الإعراض عنه بنفار حمر الوحوش، وعادة العرب أنها تشبه في السرعة بعدو الحمر، وخصوصاً إذا أحست بقانص فجرى على ما عهدوه، والله أعلم.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

الخوض: الشروع في الباطل وما لا ينبغي.

فإن قلت: لم يسألونهم وهم عالمون بذلك؟ **قلت:** توبيخًا لهم وتحسيرًا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرةً للسامعين، وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال أنهم إنما سألوهم لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار.

فإن قلت: أيريدون أنّ كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه؟ **قلت:** يحتمل الأمرين جميعًا.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾.

فإن قلت: لم أخر التكذيب وهو أعظمها؟ **قلت:** أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيمًا للتكذيب كقوله: ثم كان من الذين آمنوا.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿واليقين﴾ الموت ومقدماته، أي: لو شفع لهم الشافعون جميعًا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لأنّ الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم، وفيه دليل على أنّ الشفاعة تنفع يومئذٍ لأنها تزيد في درجات المرتضين.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿عن التذكرة﴾ عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ. و**﴿معرضين﴾** نصب على الحال كقولك: ما لك قائمًا.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾.

والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه، وقرئ: بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار، والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها، وقيل: الأسد يقال ليوث قساور، وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة، وفي وزنه الحيدرة من أسماء الأسد. وعن ابن عباس: ركز الناس وأصواتهم. وعن عكرمة: ظلمة الليل، شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما أفزعها. وفي تشبيهم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله: **﴿كمثل الحمار يحمل أسفارًا﴾**[1] وشهادةً عليهم بالبله وقلة العقل. ولا ترى مثل نفار حمير الوحش وأطرادها في العدو إذا رابها رائب، ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدّة سيرها بالحمر وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾.

﴿صحفًا منشرة﴾ قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها، أو كتبًا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضةً رطبّة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك، ونحوه قوله: وقالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه، وقال: ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية وقيل: قالوا إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار. وقيل: كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبًا على رأسه ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك. وهذا من الصحف المنشرة بمعزل إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة. وقرأ سعيد بن جبير: صحفًا منشرةً بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله. ردعهم بقوله:

﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿كلا﴾ عن تلك الإرادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال: **﴿بل لا يخافون الآخرة﴾** فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة. وقال:

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿إنه تذكرة﴾ يعني: تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها في الكفاية.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿فمن شاء﴾ أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فإن نفع ذلك راجع إليه والضمير في أنه و **﴿ذكره﴾** للتذكرة في قوله: فما لهم عن التذكرة معرضين وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ يعني: إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم لا يؤمنون اختيارًا. **﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾** هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا، وحقيق بأن يغفر لهم إذا آمنوا وأطاعوا. وروى أنس عن رسول الله ﷺ: هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه[2] وقرئ: يذكرون

---

(1) سورة الجمعة، الآية: 5.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المدثر = (الحديث رقم: 3328)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، (الحديث رقم: 4299).

بالياء والتاء مخففًا ومشدّدًا، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المدّثر أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القيامة مكية

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾.

إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض[2] في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس:

لا أوبيك ابنة العامري ... لا يدعى القوم أني أفر

وقال غوية بن سلمى:

ألا نامت أمامة باحتمال ... لتحزنني فلا بك ما أبالي

وفائدتها توكيد القسم، وقالوا: أنها صلة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب. وفي قوله: في بئر لا حور سرى وما شعر. واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوّله، وأجابوا بأنّ القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض. والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدةً إلا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال: هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له بذلك عليه قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[3] فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إنّ إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام، يعني: أنه يستأهل فوق ذلك. وقيل: أن لا نفي لكلام وردّ له قبل القسم كأنهم أنكروا البعث. فقيل: لا، أي: ليس الأمر على ما ذكرتم. ثم قيل: أقسم بيوم القيامة.

فإن قُلْتَ: قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾[4] والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت أنّ لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له، وقدّرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيًا. كقولك: لا أقسم بيوم القيامة لا تزكون سدى! **قُلْتُ:** لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر. ألا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا البلد بقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ وكذلك ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ بقوله: ﴿إنه لقرآن كريم﴾. وقرئ: لأقسم على أنّ اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدأ محذوف. معناه: لأنا أقسم. قالوا: ويعضده أنه في الإمام بغير ألف.

وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾.

﴿**بالنفس اللوامة**﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي: في يوم القيامة على تقصيرهنّ في التقوى، أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان. وعن الحسن: إن المؤمن لا تراه إلا لائمًا نفسه وإنّ الكافر يمضي قدمًا لا يعاتب نفسه. وقيل: هي التي تتلوّم يومئذٍ على ترك الازدياد إن كانت محسنةً، وعلى التفريط إن كانت مسيئةً، وقيل: هي نفس آدم لم تزل تتلوّم على فعلها الذي خرجت به من الجنة. وجواب القسم ما دل عليه قوله:

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾.

﴿**أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه**﴾ وهو لتبعثنّ. وقرأ قتادة: أن لن نجمع عظامه على البناء للمفعول، والمعنى: نجمعها بعد تفرّقها ورجوعها رممًا ورفاتًا مختلطًا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض، وقيل: إنّ عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله ﷺ يقول فيهما: «اللهم اكفني جار السوء». قال لرسول الله ﷺ: يا محمد حدّثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره؟ فأخبره رسول الله ﷺ فقال: «لو عاينت ذلك اليوم لم أصدّقك يا محمد ولم أؤمن به أو بجمع الله العظام فنزلت[5].

بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾.

﴿**بلى**﴾ أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع. فكأنه قيل: ﴿**بلى**﴾ نجمعها و﴿**قادرين**﴾ حال من الضمير في نجمع أي: نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها. وإعادتها إلى التركيب الأوّل إلى أن نسوّي بنانه أي: أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه، أو على أن نسوّي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أوّلاً من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام. وقيل: معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوّي أصابع يديه ورجليه. أي: نجعلها مستويةً شيئًا واحدًا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئًا مما يعمل بأصابعه المفرّقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال والبسط والقبض

---

(1) ذكره الثعلبي وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 123.

(2) قال أحمد: إن لا التي قبل أقسم زيدت توطئة للنفي بعده، وقدّرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفياً تقديره ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ لا تتركون سدى، وأجاب: بأنه لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان له مساغ، ولكنه ليس بقاصر عليه، ألا ترى كيف لقي ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ بقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في = كبد﴾ وقوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ بقوله: ﴿إنه لقرآن كريم﴾.

(3) سورة الواقعة، الآيتان: 75 ـ 76.

(4) سورة النساء، الآية: 65.

(5) قال الزيلعي غريب 4/127، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص 248.